برّ الوالدين

خطبة اليوم عن وصية أوصانا الله تعالى بها في القرآن الكريم مراراً وتكراراً.

خطبة اليوم عن أوسع باب لدخول الجنة.

خطبة اليوم عن مَوضوع يَسوق بِرَّ أبنائك، ويُحرِّك الصَّخرَ بين يديك.

هل عَرفتم ما موضوع الخطبة؟! إنه بر الوالدين.

بِر الوالدين وصية الله تعالى في القرآن الكريم، أعادها علينا مَرة بعد مرة.

قال الله تعالى: ﴿**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا**﴾ [العنكبوت:٨]، وقال سبحانه: ﴿**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا**﴾ [الأحقاف:١٥]، وقال سبحانه: ﴿**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرِ**﴾ [لقمان:١٤]، وقال سبحانه: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤] قضى أمراً مُبرماً.

والبرُّ: كلمة جامعة لكل خير، فالنظرة الحسنة برٌّ، والكلمة الطيبة برّ، والنفقة الكثيرة برّ، والخدمة الصالحة بالنفس والمال والولد برّ، والهدية الجميلة برّ، فالبرّ هو التوسُّع في الخير.

والحديث عن البر حديث طويل، غير أني سأقف معكم في هذه الخطبة عند ثواب البر، ثم أقف في الخطبة القادمة عند خمسة أمور بها تعين ولدك على برِّك.

أجور بر الوالدين:

١- **بر الوالدين سببٌ لرضا الله تعالى عليك:** قال رسول الله ﷺ: «**رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد**»[١].

والوالد يُطلَق على الأب والأم، فإذا ما أردت رضا الله، فعليك بطلب الرضا من الوالدين، فإذا رضوا رضي الله تعالى، فما عليكِ أن تتعب لنيل رضاهما، ما عليك أن تتحمل الصعب لأجل برّهما، فأنت تَطلب بذلك رضا الله.

وقال الامام علي رضي عنه: (لو علم الله كلمة في العقوق أدنى من "أف" لحرمها).

---

[١] - أخرجه الترمذي في سننه.

٢- **بر الوالدين أوسع باب لدخول الجنة:** قال رسول الله ﷺ: «**الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فأَضِعْ ذلك الباب أو احفظه**»[٢]، وروى النسائي: أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله، أردتُ الغزو، وقد جئت أستشيرك، فقال: «**هل لك أم؟**» قال: نعم. قال: «**فالزمها، فإن الجنة عند رِجلَيْها**»[٣]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**رَغِمَ أَنفُه، رَغِمَ أَنفُه، رَغِمَ أَنفُه**» قيل مَنْ يا رسول الله؟ قال: «**من أدرك والديه عند الكِبَر، أحدهما أو كلاهما، ثم لم يدخل الجنة**»[٤].

٣- **بر الوالدين سبب لإجابة الدعاء:** حَدَّثَ رسول الله ﷺ عن رجل من التابعين اسمه أويس القرني من اليمن فقال: «**إن خير التابعين رجلٌ يقال له: أويس ...، له والدة هو بها بَرٌّ، لو أقسم على الله لأبرَّه، فمن لقيه منكم فمروه فليستغفر لكم**»، فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا أتى وفود أهل اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى أويس، فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم، قال: مِنْ مراد ثم مِنْ قَرَن؟ قال: نعم، قال: فكان بك برص فبرئت منه إلا موضعَ درهم؟ قال: نعم، قال لك والدة؟ قال: نعم، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يأتي عليكم أويس بن عامر من أمداد أهل اليمن، من مراد ثم من قَرَن، كان به برص فبرئ منه إلا موضعَ درهم، له والدة هو بها بَرٌّ، لو أقسم على الله لأبرَّه، فإن استطعتَ أن يَستغفر لك فافعل**» فاستغفِرْ لي، فاستغفر له[٥]. فالبر سبب لإجابة الدعاء.

٤- **بر الوالدين سبب زيادة العمر:** ودليل ذلك حديث رسول الله ﷺ: «**مَن بَرَّ والديه طوبى له، زاد الله في عمره**»[٦].

٥- **بر الوالدين سبب زيادة الرزق:** قال رسول الله ﷺ: «**مَن سَرَّه أن يُمدَّ له في عمره، ويُزاد له في رزقه، فليبَرّ والديه وليصل رحمه**»[٧].

---

[٢] - أخرجه الترمذي في "جامعه" برقم (١٩٠٠)، والحاكم في "المستدرك" برقم (٢٧٩٩)، وأحمد في "مسنده" برقم (٢٧٥١٦) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

[٣] - أخرجه النسائي في "السنن الكبرى" برقم (٤٢٩٧)، والحاكم في "المستدرك" برقم (٢٥٠٢) عن صاحب القصة جاهمة السلمي رضي الله عنه.

[٤] - أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم (٦٥١١)، وأحمد في "مسنده" برقم (٨٥٥٧).

[٥] - أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم (٦٦٥٦) بنحوه.

[٦] - أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٤٤٧/٢٠)، وأبو يعلى في "مسنده" برقم (١٤٩٤)، والحاكم في "المستدرك" برقم (٧٢٥٧)، والبخاري في "الأدب المفرد" برقم (٢٢)، وفيه زبان بن فائد ضعيف.

والحديث عن البر كبير –أيها الإخوة– وأجوره عميمة، فبر الوالدين سببٌ لبرِّ الأبناء، وبر الوالدين سبب لتوبة الله عليك، وبر الوالدين سبب للأجر الكبير عند الله، وبر الوالدين كجهاد في سبيل الله، وبر الوالدين يحرّك الصخر بين يديك.

هذا شيء من الحديث عن أجر بر الوالدين، أسأل الله تعالى أن يَجعلني وإياكم من الكرام البررة.

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ * رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَاب﴾ [إبراهيم: ٤٠-٤١]

والحمد لله رب العالمين

* * *

مديرية أوقاف دمشق

---

[٧] – أخرجه أحمد في "المسند" برقم (١٣٨١١) من حديث أنسٍ ﷺ. وقال في "مجمع الزوائد" برقم (١٣٣٩٠): رجاله رجال الصحيح.

خمسة أمورٍ بها تُعين ولدك على برك

قال الشيخ إبراهيم المنذر:

أغـرى امـرؤٌ يومـاً غلامـاً جـاهلاً ... بنقـوده حـتى ينـالَ بـه الـوطَرْ [٨]

قـال ائتـني بفـؤاد أمـك يا فـتى ... ولـك الـدراهمُ والجـواهرُ والـدُّرَرْ

فمضـى وأغمـد خِنجَـراً في صـدرِها ... والقلبُ أخرَجه وعـاد على الأثَـرْ

لكنـه مـن فـرط دهشـته هـوى ... فتـدحرج القلـب المعفَّـرُ إذ عثَـرْ

ناداه قلـب الأم وهـوَ معفَّـرٌ ... ولَدِي حبيبي هل أصابك من ضرَرْ

فكـأن هـذا الصـوت رغـم حُنـوِّهِ ... غضبُ السماء به على الولد انهمَرْ

فاسـتلّ خِنجَـرَه لـيطعن نفسـه ... طعنـاً سـيبقى عـبرة لمـن اعتبَـرْ

ناداه قلـب الأم كـفّ يـداً ولا ... تطعـن فـؤادي مـرتين علـى الأثَـرْ [٩]

عندما يَتحدث القرآن عن حقوق الزوج على زوجته فإنه يتحدث في مواضعَ أخرى عن واجبات الزوج نحو زوجته، حتى تكتمل الصورة من كلّ جوانبها.

وعندما يتناول حديثُ سيدنا مُحَمَّد ﷺ حقوقَ العمال على مُدرائِهم فإنه يتكلم عن واجباتهم أيضاً حتى تكتمل الصورة من كل جوانبها.

وهكذا عندما يتحدث الإسلام عن حقوق المعلّم يتحدث عن واجباته نحو طلابه، وعن حقوق الجار يتحدث عن واجباته، وعن حقوق الرحم وواجباتها.

وبناءً عليه، فإن الإسلام عندما يحثّ الأولاد على بر الوالدين فإنه يحثّ الوالدين على إعانة الولد على البر وإخراجه من العقوق، وربنا ﷻ يقول: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى**﴾ [المائدة:٢]، وفعل (تعاونوا)

---

(٨) الوطر: الحاجة.

(٩) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي ص٣٢.

على وزن (تفاعلوا)، وتَفاعَل يحمل معنى المشاركة، الولد يَبرُّ أباه، والأب يُعين الولد على البر، الابن يَبر أمَّه، وأمُّه تعينه على البر، وجاء في الخبر: (رَحم الله والداً أعان ولده على برِّه)[١].

فكيف تعين ولدك على البر؟

تُعين ولدك على برك بخمسة أمورٍ:

أولاً– باختيار أمه: لأن النساء يَلدنَ أشباهَهنَّ، وأشباه إخوانهن وأخواتهن، والمرأة البَارَّة تلدُ البارين، والمرأة الصالحة تنجب الصلحاء.

ولـيس النّبـتُ ينبـتُ في جنـانٍ كمثـل النّبـت ينبـت في الفـلاة
وهـل يُرْجَـى لأطفـالٍ كمـالٌ إذا ارتضـعوا ثـدِيَّ الناقصـاتِ

جاء رجلٌ إلى عمر بن الخطاب ﷺ يَشكو عقوق ولده، فأمره بإحضاره، فسأله، فقال: يا أمير المؤمنين، ما حقي على والدي؟ قال: أن يُحسن اختيار أمك، ويحسن اختيار اسمك، ويعلمك القرآن، قال: ما فعل شيئاً من ذلك. فقال عمر للأب: انطلق فقد عَققتَ ابنك قبل أن يَعقَّك.

أوَّل ما تُعين به ولدَك على بِرِّك: اختيار أمه.

ثانياً– العدل بين الأبناء: فالعدل بين الأبناء يستخرجُ برَّهم، وتفضيل واحدٍ على الآخر يَجلب عقوقهم، ويزرع بذور الشقاق بينهم، قال رسول الله ﷺ: «**اعدلوا بين أولادكم في العطية**»[١١]، وفي لفظ: «**اعدلوا بين أولادكم في النِّحَل كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البرِّ واللطف**»[١٢].

تَحدث طبيب شاب قال: أنجب أبي ثلاث بنات ثم أتبعهنّ بثلاثة ذكور، لكن الولد الأول فينا ظلَّت له مكانةٌ خاصة ومميزة، ويحظى بحبِّ أبي وتفضيله علينا، وقد انعكس ذلك على أمي هي الأخرى التي أصبحت تُفضّل أخي الأكبر، والغريب أن أخي الأكبر أصيب بمرض فزاد الحب له، وأنفق أبي الكثير على زواجه، وخصَّه بعطية كبيرة دوننا! نحن نترحم على أبي الآن بعد وفاته، لكننا كنا نريد أن يعدل بيننا، ولا يفضل أحدَنا على الآخر.

١- أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه. وقال المناوي في فيض القدير: (أخرجه أبو الشيخ بن حيان في كتاب الثواب عن علي أمير المؤمنين، وكذا عن عمر، وقال الحافظ العراقي: وسنده ضعيف).

٢- علّقه البخاري في "صحيحه" كتاب الهبة: باب الهبة للولد، وأخرجه أبي داود في "سننه" برقم (٣٥٤٦).

٣- أخرجه ابن حبان في صحيحه [٥٠٣/١١]، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول [١١/٤].

العدل بين الأولاد في كلِّ صغيرة وكلِّ كبيرة من التقوى، فقد قال رسول الله ﷺ: «**اتقوا الله، واعدلوا في أولادكم**»[١٣].

يقول أحد مُوجهي وزارة التعليم: رحم الله أبي، كان يفضل أخي الأكبر علينا ويخصه بأدق أسرار عمله، ويقول: إنه يشقى في تحمُّل المسؤولية معه، وكان يَتّخذه صديقاً له، أما نحن الصغار فلم يكن يُقرّبنا منه، وبعد وفاة أبي استولى أخي على كلِّ شيء، ولم نأخذ من إرث أبي إلا القليل القليل، وكان هذا مصدر ألم مُتجددٍ لنا جميعاً، خصوصاً وأن فينا مَن لم يُوسّع الله عليه في الرزق، بينما أخي الأكبر يتمتع بكل الثروة هو وأولاده، ومنا من لا يترحم على أبينا، ومن أبنائنا من لا يذكر جدَّه بخير.

وعن الحسن رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ يحدِّث أصحابه إذ جاء صبي حتى انتهى إلى أبيه في ناحية القوم، فمسح رأسه وأقعَدَه على فخذه اليمنى، قال: فلبث قليلاً، فجاءت ابنة له حتى انتهت إليه، فمسح رأسها وأقعدها على الأرض، فقال رسول الله ﷺ: «**فهلا على فخذك الأخرى**» فحملها على فخذه الأخرى، فقال: «**الآن عدلت**»[١٤]، وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: نَحلني أبي نُحلاً، فقالت له أمي عَمْرَةُ بنتُ رواحة: اِئتِ النبي ﷺ فأشهده، قال: فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال: «**ألكَ ولدٌ سواه؟**» قال: نعم، قال: «**فكلَّهم أعطيت مثل ما أعطيت النعمان؟**» فقال: لا. فقال ﷺ: «**ارجع فإني لا أشهد على جَور**»[١٥]، وفي رواية: «**أليس يسرك أن يكونوا لك في البر واللطف سواء؟**» قال: نعم، قال: «**فأشهد على هذا غيري**»[١٦].

فبالعدل بين أولادك، وبحسن اختيار أمهم تُعينهم على برِّك.

ثالثاً– الدعاء للأبناء: إن ما يُعين الأولاد على البر الدعاءُ لهم بالهداية والصلاح، وهذا دأب الأنبياء كما يحدثنا القرآن الكريم.

فهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام يقول: ﴿**رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ [الصافات: ١٠٠]، ويقول عليه السلام: ﴿**وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ**﴾ [إبراهيم: ٣٥].

١- هذا اللفظ في "صحيح مسلم" برقم (٤١٨١).

١٤ - البر والصلة للحسين المروزي برقم (١٥٨).

١٥ - أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٢٦٥٠)، ومسلم في "صحيحه" برقم (٤١٨٢).

١٦ - أخرجه أحمد في "مسنده" برقم (١٨٣٧٨)، وأبو داود برقم (٣٥٤٤).

وهذا سيدنا زكريا عليه السلام يقول: ﴿**رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ**﴾ [آل عمران: ٣٨].

والمؤمنون يقولون: ﴿**رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**﴾ [الفرقان: ٧٤].

وقال رسول الله ﷺ: «**ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوةُ المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده**»[١٧]، يعني: عليه أو له.

ولئن كان الدعاء للأولاد يكسبك بِرَّهم، فإن دعاءك عليهم يورثك العقوق، وقد شكا رجل إلى أحد العلماء عقوقَ ولده فقال له: أكنتَ تدعو عليه بشيء؟ قال: الأب: نعم، أن لا يوفقه الله، فقال العالم: لقد فعل الله، أنت أفسدتَه!.

وقال رسول الله ﷺ: «**لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة فينزل فيها إعطاء فيستجابَ لكم**»[١٨].

رابعاً– لا تكلفْهم ما لا يطيقون: إذا أردت بر أولادك بك فلا تكلِّفهم ما لا يطيقون، فالأم التي تطلب من ابنها أن يُطلق زوجته تكلفهُ ما لا يطيق، وهي تَدفعه إلى العقوق.

والأب الذي يُثقِل كاهل أبنائه بطلباته المادية بِغير ضرورة يكلفهم ما لا يطيقون، ويَدفعهم إلى العقوق.

والأم التي تدعو ابنتها إلى هَجر زوجها تُكلّفُها ما لا تطيق، وتدعوها إلى العقوق.

والأب الذي يَصبُّ على أولاده الشتائم، أو يُوبخهم أمام أصدقائهم، يُكلفُهم ما لا يطيقون، ويَدفعهم نحو العقوق.

وربنا ﷻ مع عظيم حقه على عباده قال: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ودعا المؤمنون ربهم فقالوا: ﴿**رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ**﴾ [البقرة: ٢٨٦].

فلا تُثقل كاهل الأولاد بتكليفهم ما لا يطيقون تستجر بذلك برهم.

هذه خمسة أمور تعين بها أولادك على برك:

---

[١٧] – أخرجه أبو داود في "مسنده" برقم (١٥٣٦)، والترمذي في "جامعه" برقم (١٩٠٥)، وأحمد في "مسنده" برقم (٧٥١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[١٨] – أخرجه أبو داود في "سننه" برقم (١٥٣٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

اختيار أمهم، العدل بينهم، الدعاء لهم، تربيتهم تربية إسلامية صحيحة، ألا تُكلفهم ما لا يطيقون.

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

والحمد لله رب العالمين

* * *